

وغريزة الجنس ارادها الله لإبقاء النوع ، ولتأتي بالأولاد والذرية .
لكن لا تستعملها كاتطلاقات وحشية . وهكذا يحرس المنهج الغرائز
والعواطف لتبقى في إطار مهمتها .

والعاطفة - على سبيل المثال - هي التي تجعل الأب يحنو على
ابنه الصغير ويرعاه ، وعلى ذلك فالمؤمن عليه أن يعلى غرائزه
وعواطفه .

ويقول الحق سبحانه عن يعقوب :

﴿ هُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤)

[يوسف]

أى : أنه أخذ النزوع على قدره . وكلمة « كظيم » مأخوذة من
« كظمت القرية » أى : أحكمتا غلق فوهة القرية ، بما يمنع تسرب
الماء منها .

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ قَالُوا قَاتِلْهُ تَبْتَلَ أَتَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ
حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (٨٥)

ولقائل أن يسأل : وعن الذين قالوا ليعقوب ذلك ، وقد ذكرت الآية
السابقة أنه تولّى عنهم ؟

(١) قاتل وفتره : زال وتحول - والمضارع تفتل - أى : مازلت . وإنما قالوا له ذلك ، لأنهم
علموا باليقين أنه يداوم على ذلك . [تفسير القرطبي ٣٥٨٤/٥] .

(٢) الحرص : الذى أزاله الحزن أو العشق ، الذى لا يقدر على النهوض . والحرص أيضاً :
الذى اشرف على الهلاك . [لسان العرب - مادة : حرص] يتمرّف كثير . قال القرطبي
فى تفسيره (٣٥٨٥/٥) : « أصل الحرص الفساد فى الجسم أو العقل من الحزن أو
العشق أو البرم » .

نقول : لقد عاش يعقوب مع أبنائه وأحفاده ، ويُقال في الأثر : إن يعقوب دخل عليه بعض الناس ، فقالوا له « تالله انهشمت يا يعقوب ، ولم تبلغ سن أبيك إسحاق » .

والمعنى : أنك صرّت عجوزاً عاجزاً ، مهشماً . قال : إنما هشمّني يوسف . فعتب عليه الله في هذه القولة ، وأوضح له : أتشكو ربك لخلقك ؟ فرقع يده وقال : خطيئة أخطأتها يا رب فاغفرها لي . قال : غفرتُها لك^(١) .

وقد نبّهه بعض أبنائه أو أحفاده فقالوا :

﴿ تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا اَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ ﴾
[يوسف]

أي : لا تزال تذكر يوسف وما حدث له ، حتى تُشرف على الهلاك . و « الحوض » كما نعلم هو المُشْرِف على الهلاك ، أو يهلك بالفعل .

وجاء الرد من يعقوب عليه السلام ، وأورده الحق سبحانه :

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٧١) من قول طلحة بن مصرف الأيامي وعزاه لابن جرير الطبري . قال طلحة : أنبئت أن يعقوب دخل عليه جارية فقال : يا يعقوب ، ما لي أراك قد انهشمت ونبت . ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمّني وأفتلني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف . وذكره . فالوحى الله إليه : يا يعقوب ، أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يا رب ، خطيئة أخطأتها فاغفرها لي . قال : فإني قد غفرت لك . فكان بعد ذلك إذا سئل قال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ .. ﴾ [يوسف] .

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَفْسٍ وَحُزْنٍ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ

مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

وشكاية الأمر إلى الله لوّن من العبادة لله ، والبث : هي المصيبة التي لا قدرة لأحد على كتمانها ؛ فينشرها ، وإذا أصاب الأعلى الأدنى بما يراه الأدنى سوء ، يتفرع الأدنى إلى نوعين : نوع يتوود إلى الأقوى ، و يتعطفه ويلين له ، ويستغفره ويستميحه ، ونوع آخر يتأبى على العبثى . ويتمرد ، ولسان حاله يقول : « قليل فعل ما يريد » .

والحق تبارك وتعالى يقول في كتابه :

﴿ قُلُوبًا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا نَضُرُّوهُ ﴾ (١٣) [الأنعام]

فساعة يأتي البأس ونضرع إلى الله : يكون البأس قد غسلنا من الذنوب ونسيان الذكر ؛ وأعادنا إلى الله الذي لن يزيل البأس إلا هو . أما الذي يتمرد ويستعلى على الأحداث ، فويل له من ذلك التمرد . والحق سبحانه حين يصيب إنساناً بمصيبة ، فهو يلفظ بعن يدعو .

وتسأل بعضهم : ولماذا لم يقل يعقوب ما علمنا إياه رسولنا ﷺ :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦) [البقرة]

(١) حقيقة البث في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتوعدا له أن يخفيها . قال الحسن : بنى : حاجتى . رقىل : أشد الحزن . [راجع : تفسير القرطبي ٣٥٨٦/٥] .

ونقول ﴿ إِنَّ هَذَا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي اخْتَصَّ بِهَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ : وَحِينَ نَخُلُ بَعْضَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَأَرْضَاهُ - وَكَانَ يَعْأَى مِنْ وَعَكَةٍ ، وَكَانَ يَتَأَوَّهُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ أَتَتَوَجَّعُ ؟ قَالَ : أَنَا لَا أَشْجَعُ عَلَى اللَّهِ .

وهنا في الآية - التي نحن بصدد خواطرنا عنها - يعلن يعقوب عليه السلام أنه لا يشكو حُزْنَهُ وَهَمَّهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، فهو القادر على كشف الضُرِّ : لَأَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ابْنَاؤُهُ أَوْ أَحْفَادُهُ .

فقد كان يشعر بوجوده ، وبما كان لديه من شكوك لحظة إبلاغهم له بحكاية الذئب المكنوية أن يوسف ما زال حَيًّا ، وأن الرؤيا التي حكى يوسف عنها لأبيه ، سوف يَأْتِيَنَّ الْحَقُّ بِتَحْقِيقِهَا .

ويذكر الحق سبحانه ما جاء على لسان يعقوب فيقول :

﴿ يٰٓبَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ^(١)
وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَّوْحِ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ۞

ونلاحظ أن الذين غابوا هم ثلاثة : يوسف ، وبنيامين ، والآخر

(١) تحسس الشيء وتحسس منه : طلب معرفته بالبحث والتحقيق عنه . قال تعالى : ﴿ يٰٓبَنِيَّ

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ .. ﴿٨٧﴾ [يوسف] . أي : تتبعوا أخبارهما وابحثوا عنهما

بخطبة شديدة . [القاموس التويمي ١/ ١٥٤] .

الأكبر الذي أصرَّ على ألاَّ يبرح مصر إلا بعد أن يأننَ أبوه ، أو يأتى فرج من الله .

وهنا فى هذه الآية جاء ذكر يوسف وأخيه ، ولم يأت ذكر الأخ الكبير أو رئيس الرحلة . ونقول : إن يوسف وأخاه هما الممسكر الضعيف الذى عانى من مناهضة بقية الإخوة . وهما قد فارقا الأب صفاراً ، أما الأخ الأكبر فيستطيع أن يحتال ، وأن يعود فى الوقت الذى يريد .

وقول يعقوب :

﴿ اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه .. ﴾ (٨٧)

[يوسف]

نجد فيه كلمة ﴿ تحسبوا ﴾ ، وهى من الحس ، والحس يُجمع على « حواس » ، والحواس هى منافذ إدراك المعلومات للنفس البشرية ، فالمعلومات تنشأ عندنا من الأمور المحسنة ، وتتركها حواسنا لتصير قضايا عقلية .

وهكذا نعلم أن الحواس هى قنوات المعرفة ، وهى غير مقصورة على الحواس الخمس الظاهرة ؛ بل اكتشف العلماء أن هناك حواس أخرى غير ظاهرة . وسبق أن تعرضنا لهذا الأمر فى مرات كثيرة سابقة .

وقوله :

﴿ فتحسبوا من يوسف وأخيه .. ﴾ (٨٧)

[يوسف]

يعنى أعملوا حواسكم ، بكل ما فيها من طاقة ، كى تصلوا إلى الحقيقة .

ونعلم أن كلمة « الجاسوس » قد أطلقت على مَنْ يقتصت ويرى ويشم رائحة الاخبار والتحركات عند معسكر الأعداء ؛ ويقال له « عين » أيضاً .

وفي عرفنا العام نقول لمن يحترف التقاط الاخبار « شم شم لنا على حكاية الامر الفلاني » .

وتابع يعقوب القول :

﴿ لَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحٍ ^(١) اللَّهُ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤُومُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ [يوسف]

أى : إياكم أن تقولوا أننا ذهبنا وتعبنا وتحايلنا ؛ ولم نجد حلاً ، لأن الله موجود ، ولا يزال له رحمة .

والآثر يقول : « لَا كَرْبَ وَأَنْتَ رَبُّ » .

وما يعز عليك بقانونك الجأ فيه إلى الله .

وقد علمنا رسول الله ﷺ ، أنه كلما حَزَبَه أمر قام صلى ^(٢) .

وبهذا لجأ إلى ربِّ الأسباب ، وسبحانه فوق كل الأسباب ، وجزَّبوا ذلك في أيِّ أمر يُعضلكم ، ولن ينتهي الواحد منكم إلى نهاية الصلاة إلا ويجد حلاً لما أعضكه .

(١) الرُّوح : الرحمة سماها روعاً لأن الرُّوح والراحة بها . وقوله : ﴿ لَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ » .

(٢) [يوسف] أى : لا تقتطوا من فرج الله . قاله ابن زيد . يريد أن المؤمن يرجو فرج

الله . [راجع : القرطبي في تفسيره ٢٥٨٧/٥] و [لسان العرب - مادة : روح] .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٨/٥) ، وأبو نادر في سنده (١٢١٩) من حديث حذيفة

ابن اليمان .

وكلمة « رَوْح » نجدها تُنطق على طريقتين « رَوْح » و « رُوح » ،
و « الرُّوح » هي الراشحة التي تهبُّ على الإنسان فيستروح بها ، مثلما
يجلس إنسان في يوم قَيْظ^(١) ؛ ثم تهبُّ نسمة رقيقة ينتعش بها .

والحق سبحانه يقول :

﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ (٨٩) [الرافعة]

ونأخذ لهذه الروح مثلاً من المحسّات حين يشتد القَيْظ ، ونجلس
في بستان ، وتهبُّ نسمة هواء ؛ فيتعطر الجو بما في البستان من
زهور .

والرُّوح^(٢) هي التي ينفخها الحقُّ سبحانه في الجماد فيتحرك .
ويأتى هنا يعقوب عليه السلام بالقضية والمبدأ الذي يسير عليه
كل مؤمن ، فيقول :

﴿ إِنَّهُ لَا يِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٩٧) [يوسف]

لأن الذي ليس له ربٌّ هو مَنْ يِيَّاس ، ولذلك نجد نسبة المنتهرين
بين العلاحدة كبيرة ، لكن المؤمن لا يفعل ذلك ؛ لأنه يعلم أن له رباً
يساعد عباده .

وما دام المؤمن قد أخذ بالأسباب ؛ فسبحانه يهبُّ ممّا فوق
الأسباب .

(١) القَيْظ : صميم الصيف . والنوم القالط : شديد الحر . [لسان العرب - مادة : قَيْظ] .
(٢) الروح بالضم : ما به حياة النفس ، نطق تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (٢٦) [السجدة] . أي : من سر الحياة التي لا يخلقها إلا الله . أي : بروح من الله لا من غيره .
بروح لا يملك نفثها في الإنسان إلا الله . [القاموس القويم ٢٨٠/١] .

وسبحانه يقول :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق]

وهذه مسألة تحدث لمن يتقى الله . أتحدى أن يوجد مؤمن ليس في حياته مثل هذه الأمور . ما دام يأخذ بالأسباب ويتقى الله ، وسوف يجد في لحظة من لحظات الكرب أن الفرج قد جاء من حيث لا يحتسب ؛ لأن الله هو الرصيد النهائي للمؤمن .

وهبّ أنك سائر في الطريق ، وفي جيبك جنيه واحد ، وليس عندك غيره وضاع منك ؛ هل تحزن ؟ نعم سوف تحزن ، ولكن إن كان في بيتك عشرة جنيهات فحزنك يكون خفيفاً لضياح الجنيه . ولو كان رصيدك في البنك ألف من الجنيهات ، فلن تحزن على الجنيه الذي ضاع .

وَمَنْ لَهُ رَبٌّ ، يسذل الجهد في الأخذ بالأسباب ؛ سيجد الحل والفرج من أي كرب مما هو فوق الأسباب .

ولماذا ييأس الإنسان ؟

إن الملحد هو الذي ييأس ؛ لأنه لا يؤمن بآله . ولو كان يؤمن بآله ، وهذا الإله لا يعلم بما فيه هذا الكافر من كُرب ، أو هو إله يعلم ولا يساعد مَنْ يعبدُه ؛ إما عجزاً أو بخلاً ، فهو في كل هذه الحالات ليس إلهاً ، ولا يستحق أن يؤمن به .

أما المؤمن الحق فهو يعلم أنه يعبد إلهاً قادراً ، يعطى بالأسباب ،
وبما فوق الأسباب ؛ وهو حين يمنح ؛ فهذا المنح هو عين العطاء ؛
لأنه قد يأخذ ما يضره ولا ينفعه .

وينقلنا الحق سبحانه إلى ثقله أخرى ؛ وهي لحظة أن دخلوا على
يوسف عليه السلام في مقره بمصر ؛ ونقرأ قوله الحق :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا
الضُّرُّ وَحَنَّا بِضُرَّةٍ مُّزْمِنَةٍ فَاَوْفِنَا الْكَيْلَ وَنَصَدِّقْ
عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ بِحَزَنِ الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٨٨)

ولم يذكر الحق سبحانه اسم من دخلوا عليه ، لأنه بطل القصة ،
والضمير في « عليه » لا بد أن يعود إلى معلوم ، ونادوه بالتفخيم
قاتلين :

﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ .. ﴾ (٨٨) [يوسف]

أي : أن الجوع صيرنا إلى هزال ، وبدأوا بتروقيق قلب من
يسمعهم ؛ بعد تفخيمهم له ؛ فهو الأعلى وهم الأدنى .

ويستمر قولهم :

(١) أي : ومعنا ثمن الطعام الذي نتأخره وهو ثمن قليل . قاله مجاهد والحسن وغير واحد .
[ابن كثير ١/١٨٨] . وقال القرطبي (٣٥٨٨/٥) : « الإزجاء : السَّوْقُ بفتح والمعنى :
أنها بضاعة تُفخم ، ولا يقبلها كل أحد » .

﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَرُفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (١٨٨)

[يوسف]

ونعلم أنهم قد جاءوا ليتحصسوا أمر يوسف وأخيه ، وقد اختاروا مدخل الترقيق والتفخيم ككون من المكّر ، فالتفخيم ببدائه يلقي الحزين ، أى : الصالك المُتسمكّن ؛ ويعنى هذا النداء أن ما سوف يطلبونه منه هو أمر فى متناول سلطته .

والترقيق بشكوى الحال من جوع صار بهم إلى هزال ، وأعلنوا قدومهم ومعهم بضائع مُزجاة ، أى : بضاعة تُستخدم كائتمان لما سوف يأخذونه من سلّح .

وكلمة : ﴿ مُزْجَاةٍ .. ﴾ (١٨٨)

[يوسف]

أى : مدفوعة من الذى يشتري أو يبيع .

والحق سبحانه يقول :

﴿ أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ يَرْجِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ۝ ١١ ﴾

[النور]

﴿ (١١) ﴾

وكلمة « يزجى » بمعنى : يدفع .

إذن : فما معنى قول الحق سبحانه :

﴿ بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ .. ﴾ (١٨٨)

[يوسف]

(١) الرُكَم : جمك شيئاً فوق شيء حتى تجعله رُكاماً مذكوماً كركام الرمل والصحاب ونحو ذلك من الشيء المرتك على بعضه . وارتكك الشيء وتراكك إذا اجتمع . [لسان العرب - مادة : ركم] .

ولكى تعرف المعنى بإحساسك : جَرَّبَ هذا الأمر فى نفسك ، وراقب كيف تدفع ثمن أى شىء تشتريه : فإن كان معك نقود قديمة ونقود جديدة : ستجد أنك تدفع قيمة ما تشتريه من النقود القديمة : وسوف تجد نفسك مرتاحاً لاحتفاظك بالنقود الجديدة لنفسك .

وقد يقول لك مَنْ تشتري منه : « خذ هذه الورقة النقدية القديمة التى تدفعها لى ، واستبدلها لى بورقة جديدة » .

فما دامت النقود سوف تُدفع : فأنت تريد أن تتخلص من النقود القديمة : وتعمل ذلك وأنت مُرتاح ، وبذلك يمكننا أن نفهم معنى :

﴿ بِيضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ .. (٨٨) ﴾ [يوسف]
على أنها بضاعة رديئة .

فكان الضرُّ الذى أصابهم جعلهم عاجزين عن دفع الأثمان للميرة التى سوف يأخذونها ، مثل الأثمان المسابقة التى تميزت بالجودة . ويتابع الحق سبحانه ما جاء على ألسنتهم :

﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) ﴾ [يوسف]

أى : أنهم يرجونه أن يُوفى لهم الكيل ولا ينقصه : إن كان ما جاءوا به من أثمان لا يُوفى ما تساويه الميرة ، وطالبوه أن يعتبر تلك التورنية فى الكيل صدقة .

وبذلك رنّوه إلى ثمن أعلى مما حملوه من أثمان ، وفوق قدرة البشر على الدُّفع : لأن الصدقة إنما يُثيب عليها الحق سبحانه وتعالى .

ولقائل أن يسأل : أليسوا أبناء نبوة ، ولا تجوز عليهم الصدقة ؟
 نقول : إن عدم جواز الصدقة هو أمر اختص به الحق سبحانه آل
 محمد ﷺ ، وهو أمر خاص بأمة محمد ﷺ . فقد قال ﷺ : « إن
 الصدقة لا تنبغي لأل محمد ، إنما هي أوساخ الناس »^(١) .
 وانظر إلى ما فعلته القرعيات التي قالوها : نظر إليهم يوسف
 عليه السلام وتبسم ، ولما تبسم ظهرت ثنياه^(٢) ، وهي ثنياه مميزة
 عن ثنياه جميع من رآوه .
 وجاء الحق سبحانه بما قاله :

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾

﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

ومجىء هذا القول في صيغة السؤال : يدفعهم إلى التأمل
 والتفكير ! لمعرفة شخصية المتحدث .

ثم يأتي التلطف الجميل منه حين يضيف :

﴿ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

[يوسف]

وفي هذا القول ما يلتبس لهم به العذر بالجهل ، ولم يتحدث

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٦/٤) ، ومسلم في صحيحه (١٠٧٢) كتاب الزكاة من
 حديث عبدالمطلب بن ربيعة باللفظ : « ألا إن الصدقة لا تنبغي لمحمد ولا آل محمد ، إنما
 هي أوساخ الناس » .

(٢) ثنياه الإنسان في قضاها : الأضلاع الأربع التي في حُقُلُمِ لحيه : ثنتان من فوق ، وثنتان
 من أسفل . [لسان العرب - مادة : ثنى] .

إليهم بعزة الكبرياء ، وغرور المكانة التي وصل إليها ، وهدفه أن يخفف عنهم صدمة المفاجأة ، فذكر لهم أنهم فعلوا ذلك أيام جهلهم .

وهذا مثلما يكون أحدهم قد أخطأ في حقك قديماً بسلوك غير مقبول ، ولكن الأيام أزالَتْ مَراوِغَكَ من سلوكه ، فمَنَعَكَ بما فعله قديماً وأنت تقول له : إن فعلك هذا قد صدر منك أيام طيشك ، لكفك الآن قد وصلت إلى درجة التعقل وفهم الأمور .

وقول يوسف عليه السلام لهم هذا الأمر بهذه الصيغة من التلطُّف ، إنما يعبر أيضاً عن تأثره بشكواهم ، ثم تبسُّمهم لهم ، وظهور ثنائه دفعهم إلى تذكُّره^(١) ، ودار بينهم وبينه الحوار الذي جاء في الآية التالية :

﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُسُفُ قَالَ أَنَا يُسُفُ
وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٦٠

وهكذا انتبهوا إلى شخصية يوسف وتعرفوا عليه ، وقالوا :

﴿ أَنْتَ أَنْتَ يُسُفُ .. ﴾ (٦٠) [يوسف]

(١) كان يوسف عليه السلام إذا تبسَّم كان ثنائه الأولُ المنظوم ، قال ابن عباس : تبسَّم يوسف ، لشبهه بيوسف فقالوا له على جهة الاستفهام : ﴿ أَنْتَ أَنْتَ يُسُفُ .. ﴾ (٦٠) [يوسف] . وفي هذا روايات أخرى ذكرها القرطبي في تفسيره (٢٠٩١/٥) .
(٢) مَنْ عَلِي : نعم عليه وأحسن إليه . قال القرطبي في تفسيره (٣٥٩١/٥) : « أي : قد مَنَّ الله علينا بالنجاة والملك » . يتصرف .

وجاء قولهم بأسلوب الاستفهام التقريري الذي أكتوه بـ « إن » و
« اللام » ، وقد قالوا ذلك بلهجة مُمتلئة بالفرح والتعجب بنجاحهم في
التحسس الذي أوصاهم به أبوه .

فَرَدُّ عَلَيْهِمْ :

﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي .. ﴾ (٩٠) [يوسف]

وبطبيعة الحال هم يعرفون أخ يوسف « بنيامين » ، وجاء ذكر
يوسف له هنا دليلاً على أن بنيامين قد دخل معه في الشعة ، وأن
الحق سبحانه قد أعزَّ الاثنين .

ويجىء شكر يوسف لله على نعمته في قوله :

﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩١) [يوسف]

وجاء يوسف بهذا القول الذي يعرض القضية العامة التي تنفعهم
كإخوة له ، وتنفع أي سماع لها وكل من يتلوها ، وقد قالها يوسف
عليه السلام بعد بيئته من واقع أحداث مرَّتْ به بدَّة من الرؤيا إلى هذا
الموقف .

فهو كلام عليه دليل من واقع معاش ، فقد مَنَّ الله على يوسف
وأخيه مما ابتليَا به واجتمعا من بعد الفُرقة . وعُلِّل يوسف ذلك
بالقول :

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ .. ﴾ (٩١) [يوسف]

أي : مَنْ يجعل بينه وبين معصية الله وقاية ، ويخشى صفات

الجلال ، ويتبع منهجه سبحانه ، ويصبر على ما أصابه ، ولا تفتر
 همته عن عبادة الله طاعة ، ويتجنب كل المعاصي مهما زُيِّنَتْ له .
 فسبحانه وتعالى لا يُضيع أجر المحسنين الذين يتقونه ، وصاروا
 بتقراهم مُستحقِّين لرحمته ، وإحسانه في الدنيا والآخرة .
 ويأتى قول الحق سبحانه بعد ذلك ليحمل لنا ما قاله إخوة يوسف
 في هذا الموقف :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا
 وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

و « تالله » قَسَم بالله .

و ﴿ أَثَرْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا .. ﴾ (٩١)

[يوسف]

أى : خَصَّكَ بِشَيْءٍ فوق ما خَصَّ به الآخرين ، وهو لم يُؤثِرْكَ
 بظلم لغيرك ، ولكنك كنت تستحق ما أثرك به من الملك وعلو الشأن
 والمكانة .

وهكذا صدق إخوة يوسف على ما قاله يوسف ، واعتزنوا
 بخطيئتهم ، حين حاولوا أن يكونوا مُقربين مثله عند أبيهم ، ولكنك
 يا يوسف وصلت إلى أن تصير مُقرباً مُقرباً عند ربِّ أبنائنا وربِّ
 العالمين .

والشأن والحال التى كنا فيها تؤكد أننا كنا خاطئين ، ولا بدُّ أن
 تنتبه إلى الفرق بين « خاطئين » و « مخطئين » .

والعريز قد قال لزوجته :

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ إِنَّكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾ [يوسف]

ولم يقل لها « كنت من المخطئين » فالمادة واحدة هي : « الخاء » و « الطاء » و « الهمزة » ، ولكن المعنى يختلف ، فالخاطئ هو مَنْ يعلم منطقة الصواب ويتعدها ، أما المخطئ فهو مَنْ لم يذهب إلى الصواب : لأنه لا يعرف مكانه أو طريقه إليه .

ويقول الحق سبحانه ما جاء على لسان يوسف عليه السلام لإخوته بعد أن أقرؤوا بالخطأ :

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾

والتثريب هو اللوم العنيف ، وهو مأخوذ من الثَّريب : فحين يذبون ذبيحة ، ويخرجون أمعاء ما يجسدون حول الأمعاء دُمًا كثيفًا ؛ هذا الدَّمُّ يُسمى ثَرْبٌ .

أما إن كانت هزيلة ، ولم تتخذَ جسدًا ، فأمعاؤها تخرج وقد ناب من عليه هذا الثَّريب .

والتثريب يعنى : أن اللوم العنيف قد أذاب الشحم من لحمه ، وجعل دمه ينزُّ ، ويكاد أن يصل بالإتصاف إلى أن ينزل به ويسقه .

وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إذا زنت أمة أحدكم فتبين^(١) زناها فليجلدها الحد ، ولا يُثْرَبَ عليها ، ثم إن زنت فليجلدها الحد ، ولا يُثْرَبَ عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبيعها ، ولو بحبل من شعر »^(٢) .

أى : لا يقولن لها : يا مَنْ فعلت كذا وكذا ، بل فليعاقبها بالعقاب الذى أنزله الله لعنل هذه الجريمة : فإن لم تردع عن الفعل فليبيعها . وهكذا نفهم أن التشريب أو اللوم العنيف قد يُولد العناد .

وقال يوسف عليه السلام :

﴿ الْيَوْمَ يَخْفَى اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٩٢)

[يوسف]

ولقائل أن يتساءل : ولماذا قال يوسف ذلك : وقد يكونون قد استغفروا الله من قبل ؟

ونقول : إن دعوة يوسف بالمغفرة لهم جاءت فى حدود معرفته ، ولتصفية النفوس مما شابها بهذا اللقاء .

وقوله :

﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٩٢)

[يوسف]

هو فهمٌ لحقيقة أن أى رحمة فى العالم ، أو من أى أحد إنما هى مُستَمَدّة من رحمته سبحانه .

(١) قال الفريسيون فى شرحه لمسلم (٢٢٢/١١) : « معنى تبين زناها تعقنه ، إما بالبينه ، وإما برؤية ، أو علم عند من يُجوز القضاء بالعلم فى الحدود » .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٧٠٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

وقد قال يوسف ذلك وهو واثق من إجابة دعوته ، لأنه قد غفر لهم خطاهم القديم وعفا عنهم ؛ والله أولى منه بالعفو عنهم .

ثم يعود الحديث بيته وبينهم إلى والدهم ، فيقول الحق سبحانه ما جاء على لسان يوسف لإخوته ، وهو الذي علم ما حدث لأبيه بعد فراقه له :

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ
بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩٢)

وكان يوسف عليه السلام ، قد علم أن أباه يربط عينييه من الحزن ، وكاد أن يفقد بصره ، فامر إخوته أن يذهبوا بقميصه الذي كان يلبسه إلى أبيه .

وتقول كتب السير أن أخاه الأكبر الذي رفض أن يبرح مصر ، وقال :

﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨١)

قد قال ليوسف :

« يا أيها العزيز إنني أنا الذي حملتُ القميص بدم كذب إلى أبي ، فدعني أحمل هذا القميص لأبي ، كي تمحى هذه تلك »^(١) .

(١) قال القرطبي في تفسيره (٥ / ٢٥٩٣) : « حكى السدي أن الذي حمل قميصه يهوذا . قال ليوسف : أنا الذي حملتُ إليه قميصك بدم كذب فاحزنه ، وأنا الذي أحمله الآن لاسره . وليمرد إليه بصره . فمعه » .

وقال يوسف عن فعل القميص مع الأب :

﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا .. ﴾ (٩٢)

[يوسف]

و نلاحظ أنه لم يقل : « وجه أبيكم » ،

وفى قوله :

﴿ وَجَدَ أَبِي .. ﴾ (٩٣)

[يوسف]

إشارة إلى الحنان الأبوى الذي فقدوه منذ أن غاب يوسف ، فغرق والده في الحزن .

و .

﴿ يَأْتِ بَصِيرًا .. ﴾ (٩٤)

[يوسف]

أي : يرتد إليه بصره ، أو يراه أمامه سليماً .

ويضيف يوسف :

﴿ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩٥)

[يوسف]

هذا تعبير قرأني دقيق ، أن يُحضروا معهم كل مَنْ يَحْتَ بِمِثْلِهِ قرابة لهم أو يعمل معهم ^(١) ، ولم يقل يوسف « بآلکم » حتى لا يأتوا بالأعيان فقط .

ونلاحظ أنه لم يذكر والده في أمر يوسف لإخوته أن يأتوه بكل مَنْ يَحْتَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ قَرَبَى ؛ لأن في مثل هذا الأمر - من موقع عزيز مصر - إجباراً للآب على المجيء ، وهو يُجِلُّ أَبَاءَهُ عَنْ ذَلِكَ .

(١) قال مسروق : كانوا ثلاثة وتسعين ، ما بين رجل وامرأة ، القرطبي في تفسيره (٢٥٩٢/٥) .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿وَلَمَّا افْصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ^(١)﴾^(٢)

و ، فصلت ، تدل على شيء كان ملتصقا بشيء آخر وانفصل عنه ، وفصلت العير . أى : خرجت من المدينة وتجاوزتها : لتسير فى رحلتها . والمقصود خروج القافلة من حدود مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام .

وهنا قال يعقوب لمن كانوا حاضرين معه من الأحفاد وأبناء الأبناء :

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ .. (١١)﴾ [يوسف]

والمعروف أن القميس الذى أرسله مع أخيه الأكبر يحمل رائحة يوسف ، لكن الذين حول يعقوب من أقربائه لم يصدقوا قوله ، فاضاف :

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (١١)﴾ [يوسف]

أى : لولا اتهامكم لى بالخرف ، لأن التفنيد هو الخرف^(٣) .

(١) ريح يوسف : أى ريحا تحمل رائحته ، أو الريح بمعنى الرائحة أى رائحته . [القاموس القويم ٢٨٠/١] .

(٢) فَنَدَ : ضعف رايه من الهرم ، أو كذب عابثا ، واتى بالباطل . وفَنَدَ رايه : أضعفه وأبطله ، أى بين ما فيه من الخطأ . [القاموس القويم ٨٩/٢] .

(٣) الخرف : فساد العقل من الكبر . [لسان العرب - مادة : خرف] .

ومن العجيب أننا في أيامنا هذه نجد العلم وقد أثبت أن صورَ
المرائي والأصوات . توجد لها آثار في الجو . رغم ما يُخيل للإنسان
أنها تلاشت .

ويحاول العلم بوسائل من الأشعة أن يكشف صورة أي جماعة
كانت تجلس في مكان ما . ثم رحلت عنه منذ ساعة أو ساعتين . معاً
يدلُّ على أن الصور لها نضج من شعاع وظلال يظل بالمكان لفترة
قبل أن يضيع .

وكذلك الأصوات ! فالعلماء يحاولون استرداد أصوات مَنْ رحلوا ؛
ويقولون : لا شيء يضيع في الكون . بل كل ما وجد فيه محفوظ
بشكل أو بآخر .

والرائحة أيضاً لا تضيع ، بدليل أن الكلب يشمُّ الريح من على
مسافات بعيدة . ويميز الآن المخبدرات من رائحتها ؛ ولذلك تنتشر
الكلاب المدربة في المطارات وعلى الحدود ؛ لتكشف أي محاولة
لتهرب المخدرات .

وإذا كان الحيوان المخلوق بقدرة الله قادراً على التقاط الرائحة من
بين آلاف الروائح . وإذا كان العلم الموهوب من الله للبشر ؛ يبحث
الآن في كيفية استحضار الصورة واسترداد الصوت من الفضاء
المحيط بالإنسان ؛ فهلينا لن ندرك أن العيرَ عندما خرجت من أسوار
المدينة ؛ وأخذت طريقها إلى الموقع الذي يعيش فيه يعقوب عليه
السلام ؛ استطاع يعقوبُ بقدرة الله أن يشمَّ رائحة يوسف ؛ تلك التي
يحصلها قميصه القادم مع القافلة .

ولسائل أن يقول : ولماذا ارتبطت سم يعقوب لرائحة يوسف
بمخرج العير من مصر ، وتواجدها على الطريق إلى موطن يعقوب ؟

نقول : لأن العير لحظة تواجدها في المدينة تكون رائحة قميص
يوسف مُختلطة بغيرها من الروائح ؛ فهناك الكثير من الروائح الأخرى
داخل أي مدينة ، ويصعب نفاذ رائحة بعينها لتغلب على كل الروائح ؛
ويختلف الأمر في الخلاء ؛ حيث يمكن أن تمشي هبة الرائحة دون أن
يعترضها شيء .

وبذلك نؤمن أن كل شيء في الكون محفوظ ولا يضيع ؛ مصداقاً
لقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (٦٠) كَرَامًا كَاتِبِينَ (٦١) ﴾ [الأنفال]

وكل ما يصدر منك مُسجل عليك ؛ ولذلك يأتيك كتابك يوم القيامة
لتقرأه ، وتكون على نفسك حسيباً .

ويرد من بقي من أهل يعقوب معه على توله بأنه يجد ريح يوسف :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيرِ (٦٢) ﴾

وكانهم قد ملوا حديثه عن يوسف ؛ وأعرضوا عن كلامه قائلين
له : إلى متى ستظل على ضلالك ، وهم لا يعنون الضلال^(١) بمعنى
الخروج عن المنهج ، ولكنهم يعنون الضلال بمعنى الجزئيات التي
لا علاقة لها بالتدين من محبة شديدة ليوسف ، وتعلق به ، والتعني
لعودته ، وكثرة الحديث عنه ، وتوقع لقائه ، وهم الذين ظنوا أن
يوسف قد مات .

(١) الضلال هنا يعني شدة الانشغال بالمحسوب وكثرة السؤال عنه والبحث المتلاحق
حصداً لقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْتَدَى (٦٢) ﴾ [الضحى].

ويأتى البشير ليعقوب ، يقول الحق سبحانه :

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ،
فَارْتَدَّ بِصِيرٍ ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَكْبَرُ مِنْ
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

وحين حضر البشير^(١) ، وهو كما تقول الروايات كبير الإخوة ؛
ويقال أيضاً : إنه يهوذا ؛ وهو من رفض أن يفادر مصر إلا بعد أن
يأذن له والده ، أو يأتى حل من السماء لمشكلة بقاء بنيامين فى
مصر ، بعد اتهام أعوان العزيز له بالسرقة ، طبقاً لما أراد يوسف
ليستبقى شقيقه معه .

ولما جاء هذا البشير ومعه قميص يوسف ؛ فألقاه على وجه الأب
تنفيذاً لأمر يوسف عليه السلام .

وبذلك زال سبب بكاء يعقوب ، وفرح يعقوب فرحاً شديداً ؛ لأنه
فى أيام حزنه على يوسف ، وابيضاض عينيه من كثرة البكاء حدث
قلبه بالإلهام من الله أن يوسف ما زال حياً ؛ وكان البكاء عليه من بعد
ذلك هو بكاء من فرط الشوق لرؤية ابنه .

(١) البشير : الذي يُنْصَرُّ اليوم بالخبر السار . قيل : هو هرون . وقيل : يهوذا . قال : أنا
انصِبْ بالقميص اليوم كما ذهبتُ به مُكْتَفِئاً بالدم . قاله ابن عباس . وعن السدى أنه قال
لإخوته : قد علمتم أني ذهبتُ إليه بقميص التَّرحَة (الحزن) فدهونى لذهب إليه بقميص
الفرحة . [تفسير القرطبي ٢٥٩٦/٥] .

وكذلك قد يكون يوسف قد علم بالرحى من الله أن إلقاء القميص على وجه أبيه يرد إليه بصره ، بإذن من الحق سبحانه وتعالى ، فضلاً عن أن الفرح له آثار نفسية تنعكس على الحالة الصحية ، وهكذا تجلّت انتصارات الحق والنبرة .

وقال يعقوب عليه السلام :

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩٦) [يوسف]

ولم يقل ذلك إذلالاً لهم ، بل ليعطى الثقة والتوثيق لأخبار كل نبي ، وأن الواقع قد أيد الكلام الذي قاله لهم :

﴿ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسِّرُوا ﴾^(١) من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧) [يوسف]

لذا جاءكم خبر من معصوم : إياكم أن تقولوا بحقولكم فيه : لأن العقول تأخذ مدركات الأشياء على قدرها ، وهناك أشياء فوق مدركات العقول .

وحين يحدثكم معصوم عن ما فوق مدركات عقولكم إياكم أن تكذّبوه : سواء فهمتم ما حدثكم عنه ، أو لم تستوعبوا حديثه عمّا فوق مدركات العقول .

(١) تحسّر الشيء وتحسّر منه : طلب معرفته بالبحث والتحقيق عنه . قال تعالى : ﴿ تَنبِيئًا إِذْهَبُوا فَتَحَسِّرُوا ﴾ من يوسف وأخيه (٨٧) [يوسف] . أي : تنبّأوا أخبروا ما وابتشروا منها بمنية هدية . [القاموس القويم ١/ ١٥٤] .

راجعته على الأصل وخرج أحاديثه فضيلة الشيخ محمد المنصورى للمستشار بالآزهر والاستاذ عادل أبو المعاطي .

وهنا يُقر إخوة يوسف بذنوبهم ، فيقول الحق سبحانه :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

وهم هنا يُقرُّون بالذنب ، ويُحدِّثون والدهم ببدء الأيوة كي يستغفر لهم ما ارتكبه من ذنوب كثيرة ، فقد أدَّوا إياهم وجعلوه حزيناً ، ولا يسقط مثل هذا الذنب إلا بأن يُقرَّ به مَنْ فعله ، ونلاحظ أنهم قالوا :

﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف]

أى : أنهم كانوا يعلمون الصواب ، ولم يفعلوه .

وبإني الحق سبحانه بما قاله يعقوب :

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

ونلاحظ أن يوسف قد قال لهم من قبل :

﴿ لَا تَحْزَبْ ^(١) عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[يوسف]

لكن والدهم هنا فى الآية التى نحن بصدد خواطرنّا عنها يقول :

(١) حزبه : لومه وعلب عليه . وثُربه بالتضخيف : أكثر لومه وعيَّره بئنيه وأثَّبه على سوء فعله .

[القاموس القويم ١٠٦/١] .

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي..﴾ (٩٨) [يوسف]

ولم يقل : « ساستغفر لكم ربي » ، وهذا يدل على أن الكبار يحتاجون لوقت أكبر من وقت الشباب ؛ لذلك أجل يعقوب الاستغفار لما بعد .

والشيخ الألوسي في تفسيره يقول :

« إنما كان ذلك لأن مطلوبات البر من الأخ لإخوته غير مطلوبات البر من ابن لأبيه ؛ لأن الأخ ليس له نفس حق الأب ؛ لذلك يكون غضب الأب أشد من غضب الأخ » .

ثم إن ذنوبهم هنا هي من الذنوب الكبيرة التي مر عليها وعلى تأثيرها على الأب زمن طويل . ويقال : إن يعقوب عليه السلام قد أخر الاستغفار لهم إلى السحر ، لأن الدعاء فيه مستجاب .

وينقلنا الحق سبحانه من بعد ذلك إلى لحظة اللقاء بين يوسف عليه السلام وأهله كلهم ، بعد أن انتقلوا إلى حيث يعيش يوسف ، فيقول سبحانه :

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى الْبَنُوهُ إِلَىٰ بَوَاسِئِهِ وَقَالُوا

أَدْخُلْنَا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ﴾ (٩٩)

ونعلم أن الجد إسحق لم يكن موجوداً ، وكانوا يغلبون جهة الأيوه على جهة الأمومة ، ودخلت معهم الخالة ؛ لأن الأم كانت غير موجودة^(٢) .

(١) أوى : ضعه إليه وأسكنه عنده أو أنزله في بيت . [القاموس القويم ٤٥ / ١] .

(٢) أم يوسف وبنيامين هي « راحيل » . وقد ماتت في نفاس بنيامين . راجع تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٥٩٨ .

ويبدو أن يوسف قد استقبلهم عند دخولهم إلى مصر استقبال
العظماء ، فاستقبلهم خارج البلد مرة ليريحهم من عناء السفر
ويستقبلهم وجهاء البلد وأعيانهم ؛ وهذا هو الدخول الأول الذي آوى
فيه أبويه .

ثم نخل بهم الدخول الثاني إلى البلد بدليل أنه قال :

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ (٩٩)

[يوسف]

ففي الآية دخولان .

وقول الحق سبحانه :

﴿ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ .. ﴾ (٩٩)

[يوسف]

يدل على حرارة اللقاء لمختربين يجمعهم حنان ، فالأب كان
يشتاق لرؤية ابنه ، ولا بد أنه قد سمع من إخوته عن مكانته
ومنزله ، والابن كان مُتَشَوِّفًا للقاء أبيه .

وانفعالات اللقاء عادة تُترك لعواطف البشر ، ولا تقنين لها ، فهي
انفعالات خاصة تكون مزيجاً من الود ، ومن المحبة ، ومن الاحترام ،
ومن غير ذلك .

فهناك مَنْ تلقاه وتكتفى بأن تُسلم عليه مُصافحة ، وآخر تلتقى به
ويغلبك شوقك فتحضنه ، وتقول ما شئت من ألفاظ الترحيب .

كل تلك الانفعالات بلا تقنين عبادي ، بدليل أن يوسف عليه
السلام آوى إليه أبويه ، وأخذهما في حضنه .

والمثل من حياة رسولنا ﷺ في سياق غزوة بدر حيث كان يستعرض المقاتلين ، وكان في يده ﷺ قدح يعدل به الصفوف ، فمرَّ بسواد بن غزية من بنى عدي بن النجار^(١) ، وهو مستنصل^(٢) عن الصف - أي خارج عنه ، مما جعل الصف على غير استواء - فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقدح وقال له : « استن يا سواد » .

فقال سواد : أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقنني^(٣) .

فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال ﷺ : « استقد » ، فاعتنقه سواد وقبل بطنه .

فقال ﷺ : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » .

قال : يا رسول الله ، قد حضر ما ترى - يقصد الحرب - فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بالخير^(٤) .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

(١) انظر ترجمة سواد بن غزية في : الإصابة في تمييز الصحابة ، (١٤٨/٣) .
(٢) تنصَّلت الشيء وابتنصلته إذا استخرجته . [لسان العرب - مادة : نصل] .
(٣) القود : القصاص . ولما أتى إنسان إلى آخر أمراً فانتقم منه بمثلها قيل : استنقها منه . [لسان العرب - مادة : قود] .
(٤) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (٢٢٦/٢) طبعة المكتبة العلمية - بيروت . وكذا ابن كثير في كتابه ، البداية والنهاية ٢/ ٢٧١ .